

أهمية وثائق الجنيزة في تدوين التاريخ الاقتصادي ببلاد المغرب الإسلامي في العصر الوسيط

*The importance of Geniza documents in recording the
economic history of the Islamic Maghreb in The Middle Age*

بصديق عبد الكريم.

جامعة الحاج لخضر؛ باقتة 1 (الجزائر).

البريد الإلكتروني: Bessedik_abdelkarim@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 21/05/05؛ تاريخ القبول: 21/06/02؛ تاريخ النشر: 21/06/25.

الملخص:

يتطرق الباحث في هذه الدراسة إلى الكشف عن أهمية هذا النوع من المصادر والموسومة بوثائق جنيزة القاهرة في دراسة التاريخ الاقتصادي للعالم الإسلامي في العصر الوسيط إذ أنها تساعد في الحصول على معلومات مختلفة عن أنواع المتاجر وأثمانها وأسعار الأراضي والمنازل وقيم الإيجارات ونفقات المعيشة وأسعار صرف العملات المحلية والعملات الأجنبية. وأيضا تمدنا بمعلومات عن مركز تجمع اليهود التجاري في أرجاء العالم الإسلامي، وطوائف التجار ووكلائهم وطرق التعامل بينهم بواسطة "السفاج" أو الحوالات.

كما أنها تسد النقص الذي خلفه مؤرخو العصر، الذين اكتفوا بذكر تاريخ الخلفاء والولاة والأمراء والحكام والأعيان وأخبار

المعارك والحروب دون التعرض للحياة الإقتصادية والاجتماعية والثقافية إلا نادراً، فهي تعد مادة خصبة لدراسة تاريخ اليهود في مصر. وهى مرآة للعصور التي كتبت فيها، فقد كتبها الأغنياء والفقراء بطريقة تلقائية تتميز بالصدق والعفوية أي بأيدي فئات مختلفة، وتضم ما هو رسمي وغير رسمي، وبالتالي فهي بعيدة كل البعد عن المبالغات المعروفة في الكتب الأدبية.

الكلمات المفتاحية: جنيزة القاهرة؛ الوثائق والمراسلات؛ التجارة والمبادلات؛ العصر الوسيط.

Abstract:

In this study, the researcher touches upon revealing the importance of this type of sources, tagged with Cairo Geniza documents, in studying the economic history of the Islamic world in the medieval era, as they help in obtaining various information about the types of stores and their prices, land and house prices, rental values, living expenses, local currency exchange rates and currencies. Foreign. It also provides us with information about the commercial center of the Jewish community in the Yemeni city of Aden, the sects of merchants and their agents, and the methods of dealing between them by means of "smuggling" or remittances.

It also replaces the deficiency left by the historians of the era, who only mentioned the history of caliphs, sultans, princes, rulers and notables, and news of battles and wars without any exposure to economic, social and cultural life except rarely, as it is considered fertile material for the study of the history of the Jews in Egypt. The rich and the poor are spontaneous, characterized by honesty and spontaneity, that

is, by different groups, and includes both formal and informal, and thus far from the exaggerations known in literary books.

Key words: Islamic Maghreb; Geniza Cairo; Documents and correspondence; Trade and exchanges; The Middle Age.

مقدمة:

تعتبر وثائق الجنيزة اليهودية إحدى معالم التراث المصري اليهودي الوسيط التي لم تحظ بالاهتمام اللائق حتى وقتنا هذا، على الرغم أنها تعتبر إحدى المخطوطات التاريخية المصرية الفريدة التي يمكن توظيفها في كتابة تاريخ النشاط الاقتصادي والحياة الاجتماعية.

ومما لا شك فيه أن دراسة التاريخ اليهودي قد أفادت كثيراً من وثائق الجنيزة، التي ترجع إلى الفترة الممتدة من عصر الدولة الفاطمية حتى عصر الدولة الأيوبية أي من نهايات القرن العاشر حتى أواسط القرن الثالث عشر الميلادي، وتوجد وثائق أيضاً من العصرين المملوكي والعثماني، بل إن هناك أيضاً بعض الرسائل والوثائق يرجع تاريخها إلى منتصف القرن التاسع عشر.

لا تزال وثائق الجنيزة اليهودية وعلومها لم تجد حظها المناسب من الدراسات والبحوث عن أهميتها وكيفية استغلالها والمواضيع الأخرى ذات الصلة بها كالسياحة والأبحاث التاريخية الأكاديمية. من هذا المنطلق تحددت إشكالية الموضوع حول أهمية وثائق الجنيزة في تدوين التاريخ الاقتصادي في بلاد المغرب الإسلامي.

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على الأهمية التاريخية لوثائق الجنيزة اليهودية، وإبراز الجانب العلمي المتعلق بها، وذلك بتحليلها ونشر مضامينها؛ بالإضافة إلى تقديم الاقتراحات والتوصيات المناسبة

لترويج هذه ال وثائق كمنتج تاريخي فريد ودورها في كشف المغالطات الصهيونية.

وظف الباحث "المنهج التاريخي الوصفي" لرصد تطور نشاط اليهود والمغاربة داخل المجتمع المصري والغرب الإسلامي وأيضا لمعرفة تاريخ تلك الوثائق وبدايات كتابتها وأسباب اللجوء إليها، كما اتبع الباحث أيضا "المنهج التحليلي" وذلك لتحليل ووصف إحدى تلك الوثائق وكل ذلك من أجل الخروج بالتوصيات والمقترحات الملائمة لتطوير وتنمية ذلك المنتج السياحي الجديد.

1 - مفهوم وثائق جنيزة القاهرة:

تشير عبارة "جنيزة القاهرة" *Cairo Geniza* إلى خبيئة من المخطوطات عُثر عليها في الفسطاط مصر القديمة في العقد الأخير من القرن التاسع عشر. وسرعان ما استحوذت عليها المكتبات الجامعية في أوروبا وأميركا، وبخاصة مكتبة جامعة كامبردج في انكلترا. وقد تم اكتشاف معظم هذه المخطوطات في غرفة للخزين ملحقة بكنيس في الفسطاط، كما عُثر على القليل منها في مقبرة البساتين القريبة من المدينة القديمة. يبلغ عدد القطع الكاملة من رسائل الجنيزة المحفوظ بها حو إلى عشرة آلاف قطعة، وأما عدد الأوراق فيصل إلى ربع مليون ورقة على أقل تقدير (محاسن، الوقاد. 1999: 16).

من الصعب إعطاء تعريف تفصيلي لمعنى الجنيزا حيث تتفق دلالة الجنيزة *GENIZA* مع دلالة المصطلح الآرامي في سفر عزرا (5:17) في معنى كنوز المحفوظات. كما تتفق مع عبرية العصر الوسيط في معنى (المستودع أو الكتاب المطروحة) وهو مشتق من جنز. بمعنى أخفى أو

كمن، وهناك مجانسة بين مصطلحات (الجنيزة) و(الجزارة) في العربية من حيث دلالته على المشهد وعلى كل ما ثقل على قوم وإغتموا به. إن معظم رسائل الجنيزة مكتوب باللغة العربية بحروف عبرية. ويذهب الباحثون إلى القول بأن الاحتفاظ بها كان لاعتقاد اليهود بأن الكتابات بحروف عبرية - والتي قد تشتمل على ذكر اسم الله عز وجل - يجب ان لا تحرق او تمزق، بل يجب الاحتفاظ بها ثم دفنها. ومن هنا جاءت كلمة "جنيزة" الفارسية الأصل - شأنها شأن كلمة "جنازة" بالعربية - بمعنى الدفينة. يرجع معظم مادة "جنيزة القاهرة" إلى عهد الدولتين الفاطمية والأيوبية، أي الفترة من منتصف القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) إلى منتصف القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي)، وأغلبها يعود إلى القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) (Jeremy, E. 2008 : 08).

وهي رسائل متبادلة بين التجار اليهود الذين نزحوا عن إفريقية واستقروا في مصر وبين أقربائهم ووكلائهم الذين بقوا في مدن إفريقية. وتشكل الرسائل التجارية أكبر وأهم نسبة من مجموع "رسائل الجنيزة" التي تعد مصدراً رئيسياً للتجارة والصناعة، فضلاً عن الملاحة ونقل البضائع براً وبحراً. وتُعنَى الرسائل بنقل أخبار أسعار السلع المتبادلة، وكميتها، وبحركة القوافل والمراكب، وأسفار التجار، والوضع العام بالبلاد المعنية، وبسلامة المواصلات. وفضلاً عن الرسائل التجارية، فإن رسائل الجنيزة تشتمل على فتاوى، وعقود تملك، وكشوف حسابات (D. Goitein, 1972 :246).

دأب تجار المغرب الإسلامي على التخابر بشأن حوالة الأسواق والاطلاع على الأخبار الأمنية. كما ان الاوربيين كانوا يعلمون الشبان السفر وإرسالهم إلى ما وراء البحر من قبل تجار يستقرون كممثلين (زبيدة عطا، 2008: 179). يتلخص عملهم في استقبال البضاعة المصدرة واستقبال تعليماتهم ويضمنون بيع الحمولات في بجاية وفي العودة يرسلون كل مت تم اشتراؤه إلى وطنهم كما يقومون بإخبار وكلائهم وموظفيهم عن تطور السوق من حيث العرض والطلب على المواد النادرة والوفرة في المنتجات المحلية (الطبيي توفيق، 1984: 384).

تسهل هذه الوثائق عملية الاستخبار والاستعلام بين التجار حول الظروف السياسية المتعلقة بأمن الميناء وسماع الأخبار الجديدة خاصة المتعلقة باحتمالات الأسواق وتقلبات أسعار المواد (الطبيي، توفيق، 1984: 790). عن طريق مراسلات مكتوبة بين التجار للتعرف على ظروف الأسواق والمخاطر والمناسبات كوثائق جنيزة القاهرة وأرشيقات داتيني دوبراتو في القرن 14/8م وحتى رسائل التجار البنادقة في ق9/15م (الطبيي توفيق، 1984: 789).

2 -بنية المبادلات التجارية بالمغرب الإسلامي من خلال وثائق الجنيزة:
تثبت الوثائق مدى إنحصار التجار في البلاد الإسلامية حيث أشارت إلى وفادة تجار الروم إلى أسواق المغرب الإسلامي لاقتناء البضاعة النفيسة من ذلك رسالة كتبت سنة 1050م تضمنت مجيء تجار اوربيين لشراء المرجان بإفريقية المغرب الأدنى (Goitein, D.). (1967: 245).

أمدنا المستشرق أشتور بإحدى النماذج عن وثائق الجنيزة غير المؤرخة وقد اتضح من خلالها أن اليهود مارسوا العديد من الحرف

والصناعات بالمشرق والمغرب مثل صناعة السكر والحلوى ، وصناعة الزجاج وتجارة الزيت والعسل والاعمال المصرفية والطب والخياطة والسمسرة وصناعة الخمر والنسيج (Goitein, D.1961 :177).

يتبين لنا من وثائق الجنييزة إستيراد مادة الكتان من مصر إلى بلاد افريقية والمغربين الأوسط والأقصى حيث نلاحظ تصدره لقائمة المنتجات المصدرة في الشرق الأدنى بالرغم من أن الدولة الحفصية اشتهرت بمنتجاتها الفاخرة مثل الأكسية السوسية (أبو شامة شهاب الدين، 1997: 571) . كما بينت ذات الوثائق جلب منتجات السكر والتوابل من مصر ومن طرقها ومختلف المواد المستخدمة في تركيب العطور والصبغة والديباغة ، وفي الجهة المقابلة يصدر المجال الحفصي إلى مصر مواد مثل الثياب الكتانية والحريية ومعادن الذهب والفضة على شكل مواد خامة ومسكوكات ومن سائر الرجااء بقية المعادن كالزئبق والنحاس والرصاص ومواد أخرى كالكتب العربية والعبرية والمرجان والأنطاع واللوز المقشور والقار والزعفران.(Goitein, 2009 : D. 321).

تورد رسائل الجنييزة في القرن 11م/5هـ أخباراً هامة عن توريد بلاد المغرب الإسلامي العملات الذهبية والفضية إلى مصر كأثمان للمنتجات المصدرة من مصر والشام والعراق لكن ذاك لم يستمر طويلا بسبب الغزوات الهلالية التي أثرت على إستتباب الأمن وركود الحركة التجارية بالمنطقة . كما أشارت الرسائل إلى تهافت تجار الشرق الأدنى إلى التعامل بالدنانير المهدوية نظراً لتدنى مستوى الذهب فيه ثم بعدها الدنانير المرابطية مع اضمحلال الدولة الفاطمية .(Goitein, D.1979 : 235).

3 -النقل البحري التجاري:

تزخر رسائل جنيزة القاهرة بمعلومات قيمة عن تاريخ الرحلات التجارية ونقل البضائع عبر المفاوز البرية والمسالك البحرية بل بينت مواسم النشاط التجاري والركود فمثلا نلاحظ ان الاعياد والمناسبات الإسلامية فرصة مناسبة لترويج البضائع وبخاصة الملابس. جاء في إحدى الرسائل عبارة "قد تحركت المعيشة" والتي يقصد بها الموسم (Goitein, D.1967 : 321).

وضحت الرسائل إلى أصحاب المراكب بألقابهم دون اسمائهم ففي رسالة مؤرخة في 1140م وردت إشارة إلى "مركب السلطان" وهو يقصد حاكم بجاية يحيى ابن عبد العزيز وإبحاره مع قائد المركب وهو علي بن عيسى بن ميمون من الأندلس إلى مصر (الطبيي توفيق، 1984: 145). وفي خطاب آخر مؤرخ في أفريل 1137م ذكر إنشاء مركب كبير يعزم التوجه من الأندلس إلى مصر، سجل الباحث جوتين أسماء 150 مركباً للمسلمين وردت في رسائل جنيزة القاهرة أغلبها في القرنين الخامس والسادس الهجريين.

أشارت وثيقة جنيزية أخرى إلى إقلاع مركب أندلسي من المهدية ودافع عن نفسه اثر هجوم نصراني إلا أن سفينة مغربية نجحت في إنقاذه وعملت على جنوحه إلى البر لكن بعد ان نجح النصاري في نهب شحنته وسبي أغلب ركابه (Goitein, D. 1967 : 321).

نستشف من رسالة إسحاق النيسبوري المؤرخة في 1119م بالإسكندرية عن تعطيل الأعمال التجارية بسبب تعطيل الملاحة البحرية قائلاً: "ولما تأخر وصول جميع المراكب رغب التجار في الشراء إلا أن

من كان عندهم حرير احتفظوا به ، وقد انقضى اليوم 33 يزما لم يصل فيها سوى مركب واحد واليوم بيننا وبين عيد الصليب 23 يوما ولم يصل مركب واحد من المغرب ... ولم يبع احد ولن يبيع احد إلى ان يعرف ما سيحدث" (Goitein, D.1974 : 245).

توجه من القيروان إلى مصر ثلاثة قوافل في فصل الشتاء فضلا عن قافلة سجلماصة إلى مصر وقد وردت عن ذلك في إحدى الوثائق عبارة "يوم مشي الموسم" (Goitein, D.1967 : 277).

ذكرت رسالة مؤرخة في القرن السادس الهجري (12م) شحن ثماني قطع من المخفيات الفخارية تم ارسالها من الأندلس إلى مصر عبر القيروان (Goitein, D.1967 : 111).

أشارت رسالة إلى جلود الكتب وأغلفتها التي تصدر من إفريقية إلى مصر على شكل مربع حيث تضمنت رسالة مؤرخة في منتصف القرن السادس الهجري (12م) إلى تصدير كمية من اثني عشر جلدًا أحمرًا وخمسة جلود حمراء (Goitein, D.1967 : 111).

تضمنت الوثائق دفتر حسابات وكشوف مفصلة عن أسعار وتكاليف البضائع المتبادلة من ذلك ما تضمنته رسالة مؤرخة في سنة 1100م عن شحنة من الأرجوان أرسلت من الفسطاط إلى البلاد التونسية، حيث دلت على أن ثمن البضاعة في البلد المنشأ $\frac{1}{4}$ ، 66 دينار مصري، وأنها بيعت بمبلغ $\frac{24}{7}$ - 264 دينار محلي إلي ما يعادل 94 دينار مصري وبلغت تكاليف الشحن والمكوس حوالي 14 دينارًا وعلى ذلك فإن هامش الربح الصافي قدر ب 23% (Goitein, D.1967 : 112).

4 - التنظيم المالي بالمغرب الإسلامي على ضوء وثائق الجنيزة:

جاء في مقتطف من رسالة جنيزة مؤرخة سنة 1100م من وكيل تجاري بالمهدية بتونس إلى تاجر من الفسطاط ما يلي: "أرسلت لكم مائة 100 دينار مرابطي وازن، وثنها بعملة المهدية ثلث 3/1 دينار. وكان شرائي لها بعد عناء ومشقة كبيرين. وهي دنانير بكرية وأغماتية" (الطبيي توفيق، 1984: 144). وفي رسالة أخرى في سنة 1100م أرسل تاجر بالإسكندرية ثلاثة عشر سيكة فضية وزن 2900 درهم إلى المغرب وأرفقها بالتعليمات التالية: "...إشترلي دنانير مرابطية وأغماتية (Goitein, D.1967 : 235) أو رباعيات، ولا تشتري شبرا واحداً من القماش" (الطبيي توفيق، 1984: 144).

وفي سنة 1100 م أرسل تاجر في مصر شحنة من الأرجوان إلى صفاقس التونسية، واشترى وكيله بثنها كمية كبيرة من الدنانير المرابطية المضروبة بمدينة مراکش ولم يحول إلى العملة المحلية سوى قطعتين من الذهب (الطبيي توفيق، 1984: 144).

أشارت الوثائق إلى بروز الصيارفة اليهود والجنوبيين في بلاد المغرب الإسلامي ولعل أشهرهم التاجران الجنوبيان ستابليس *Stabilis* والثاني بلانكردرس *Blankerds* اللذان تعاطا التجارة مع بلاد المغرب (Hilmar C. Krueger, 1933 308).

يذكر أبو الفرج نسيم الرقي بصفاقس إلى أحد أقربائه المدعو سليمان بن إبراهيم الرقي عن ركود الأسواق بسبب تفشي الوباء أواخر القرن 5هـ (11م) وذلك ما سبب خللاً كبيراً في أسعار صرف العملة حيث يقول في الرسالة: "الأعمال هنا ضعيفة، وتكاد تكون متوقفة، إذ ثمة بليلة كبرى في أسعار الصرف، وفي هذا الوقت حوالي خمسين

درهما للدينار الواحد ، الوباء متفش كثيرا في جهات المدينة ، وبسببه إنقطع وصول الدراهم الجديدة ، وكل واحد يواجه صعوبة في أعماله التجارية"(Goitein, D.1973 : 241).

توضح الرسائل دور اليهود في تجارة المحيط الهندي مع بلاد المغرب والأندلس في مع بدايات القرن الخامس إلى اواخر العصر الوسيط .

جدول رقم1: أصناف السلع والعروض التجارية من خلال مجموعة من رسائل جنيزة القاهرة

المرسل	المرسل اليه	الموضوع	الوجهة	الزمان	المصدر
٩	أبو الفرح نسيم الرقي	بيع الاقمشة زيت الزيتون	المهدية سوسة صفاقس	ق5/ه11م	طبيبي ، ص: 149.
هلال بن يوسف	أبو الأفراح عروس بن يوسف	الأرجوان الصوف	الإسكندرية المرية	ق6/ه12م	طبيبي ، ص: 149.
زكري ابن هنتيل	الرجواني عروس بن يوسف	300 رطل من اللاك كمية معبأة من الأرجوان	الفسطاط الإسكندرية المهدية الأندلس	في حدود 1100م	طبيبي ، ص: 150.
اسحاق النيسبوري	أبو العلاء صاعد يوسف الدمشقي	الحرير الأندلسي المرجان المنظوم تعطل الملاحة البحرية	الإسكندرية الفسطاط الأندلس	في حدود 1119م	طبيبي ، ص: 151.
اسحاق بن	أبو سعيد	أسعار الحرير	الاسكندرية	29شوال	طبيبي ، ص:

152.	532هـ / 10 أكتوبر 1138م	-الميرة تلمسان فاس	بالمرية أثمان النحاس المصقول أسعار العقاقير الطبية والفلفل	خلفون	بروخ
	في حدود 1140م	بالرمو (صقلية) الفسطاط	هجوم النورمان على جربة وإفريقية تجارة التوابل مع الشرق	أخوه الأكبر أبو البركات	أبو سعيد بن أبي الحسن الابزاري
طبيبي، ص: 157-158.	1140م	فاس المرية	المكوس الإضافية على الغرباء وضع التجار اليهود بفاس -شراء الأردية، الكحل، اللاك السقمونيا	إلى أبيه في المرية	تاجر أندلسي
طبيبي، ص: 159.	أواخر ديسمبر 1141م	المشرق فاس الأندلس	ركود السوق. التخاير حول أسعار اللاك البقم، الشب	؟	؟
طبيبي، ص: 161	منتصف سبتمبر 1149م	عدن المهدية إفريقية	تسليم الزباد بمصر تقديم مساعدة مالية إلى عائلته بع غزو النورمان افريقية	إلى أخيه	ابراهيم بن يجو

جدول رقم 2: يوضح اسعار السلع والعروض التجارية من خلال
مجموعة من رسائل جنيزة القاهرة.

السلعة	الكمية	ثمن الشراء/البيع	المكان	الزمن	المصدر
أسعار الصرف القماش الأشقر	50 درهما لفة واحدة	دينار واحد 4 دنانير	صفاقس المغرب	ق11م/5هـ	طبيي، ص: 148.
الزيت المغربي	25 رطلا	دينار	الفسطاط	ق11م/5هـ	طبيي، ص: 148.
جبة الخز	واحدة	أقل من 4 دنانير	الفسطاط	ق11م/5هـ	طبيي، ص: 148.
الصوف	/	تكاليف الشحن 6 دنانير	الفسطاط الاسكندرية	ق6هـ	149
الحري الأندلسي	10 أرطال	21 - 22 دينارا	مصر	1119هـ	151
الحري الخشن	10 أرطال	23 دينارا	مصر	1119هـ	152
مرجان تراب	/	11 - 08 دينارا	دار الصنعة مصر	1119هـ	152
مرجان	نوعية جيدة	20 دينارا	دار الصنعة مصر	1119هـ	152.
الأردية	10 أزواج	80 دينارا	فاس	1140م	157.
الكحل	1 قنطار	1 دينار	فاس	1140م	158.
النجاس الرجيف	قنطار	09 دنانير	فاس	1140م	158.
السقمونيا	1 رطل	3 دنانير	فاس	1140م	158.
البقم	رطل ونصف	مئقال واحد	فاس	1140م	157.
الشب	1 قنطار	ربع مئقال	فاس	1140م	157.
الحاويات	حاوية واحدة	درهم واحد	فاس	1140م	157.

الزباد	50 أوقية	40 دينارا	عدن موجهة إلى المغرب	1149م	161.
--------	----------	-----------	----------------------------	-------	------

نستشف من الجداول الموضحة أعلاه أن اختلاف أسعار صرف النقود المعدنية و سلع ارتبط بشكل مباشر بعوامل سياسية وطبيعية أثرت على نشاط التجارة المتوسطية، علاوة على النظام الضريبي والمكوس التي تعيق الحركة التجارية في المنطقة، كما نلاحظ سعي التجار اليهود والمغاربة على اقتناء السلع النادرة وعرضها على أسواق المشرق والغرب الإسلامي. وبرزت فاس والفسطاط ومصر كأهم نقاط للتبادل بين تجارة المحيط الهندي والبحر المتوسطي.

5 -النظم التجارية بالمغرب الإسلامي في ضوء جنييزة القاهرة:

أشارت الرسائل الجنييزة إلى بعض التقنيات والأساليب التجارية المتبعة في بلاد المغرب الإسلامي وفي علاقاتها الاقتصادية مع بلاد المشرق والأندلس وأغلب ما وقفنا عليه حسب اطلاعنا ما يلي:

5- 1 -العرض والطلب: يقول أبو الفرح نسيم الرقي بصفافس مخاطبا أحدهم: "الرجاء إعلام أبي الحسن بذلك، ...، وأرجو إخبار أبي الحسن الشامي أن لا ينتقل بزيتته، فسوف يندم إن هو فعل" (الطبيي توفيق، 1984: 148).

5- 2 -البيع نقداً: ثم يقول أبو الفرح نسيم الرقي: "وقد اخبرني سيدي أبو سعد أن أبا بشر باع حريره للدولة وقبض الثمن". (الطبيي توفيق، 1984: 148).

5- 3 -الدين والسلف: في رسالة حررت بمدينة فاس أواخر ديسمبر 1141م غاب عنها اسم الكاتب والعنوان تكلم المحاطي: "ذكرت في

رسالة سابقة إلى أن صائغا يهوديا ساعدني كثيرا في تحصيل الديون ودفعها فهو يرغب في الحصول على ميزان ومجموعة أوزان، وقد سلمني الثمن بالكامل" (Goitein, D.1976 : 266).

5- 4- البيع بالجملة والصفقات: فقد ذكر في رسالة صفقة بيع الشب: "ألفت انتباهكم إلى أن شحنة الشب التي أرسلتها لكم تشتمل على 7 أعدل من النوع الممتاز، ...، أما الكميات الباقية فأصنافها متفاوتة" إلا أن الصفقة كلها كانت بسعر منخفض (Goitein, D.1976 : 266).

مما تقدم يمكننا أن نستنتج أن مجال البيوع والمعاملات التجارية كان منظما ومحكما إلى حد بعيد بالرغم من الصعوبات والأزمات السياسية التي مر بها المغرب الإسلامي أواخر العصر الوسيط، كما يمكن لنا أن نستشف دور الإطار البشري المتنوع في تنظيم البيع والصفقات وتسهيل العمليات المعقدة وتذليل الصعوبات المحدثه بين التجار والعامه.

6 - الضرائب والمكوس:

أشارت الوثائق إلى الضريبة الخاصة (الجزية) التي استثناهها يوسف بن تاشفين المرابطي على اليهود سنة 464 هـ (مجهول، 1979: 25)، وفي رسالة أخرى قال أحدهم: "تركنت جبتي من القطن التي أرتديها عادة فوق ردائي الفاخر، وفي جيبها شهادة الضريبة (الجزية)، ...، فأرجو إرسال الشهادة فور قراءتك الخطاب، لأنني سلمت كفالة عنها إلى حين وصولها" (Goitein, D.1976 : 242). يتبين من النص أن اليهود ألزموا بتقديم شهادة الاعفاء من الضريبة عند ممارسة أي نشاط تجاري

أو مرور بين حواضر العالم الإسلامي. ووردت في إحدى الرسائل عبارة "واجب مشتري" ولا بد أنه يعني ضريبة الشراء *purchase tax* في إشارة إلى المهديّة بتونس سنة 1100م، وكانت تقدر بحوالي 2.7% من ثمن البضاعة (الطبيي توفيق، 1984: 144).

7 - المكايل والموازين المتداولة بالمغرب الإسلامي من خلال الوثائق الجنيزية:

تنوعت المكايل بالمغرب الإسلامي (بلهاري فاطمة، 2002: 243). حسب المواد والسلع فتجد مكايل خاصة بالحبوب اليابسة وأخرى بالمواد الصلبة (المنصوري عثمان، 1988: 98)، كما تواجدت مكيالات للمواد السائلة (المنصوري عثمان، 1988: 106) ومن المكايل والموازين التي أشارت لها وثائق الجنيزة التي استعملت في المغرب الإسلامي ومن أهمها ما يلي:

◀ القنطار: ويُعادل مائة رطل وهو أنواع، يختلف باختلاف المبيعات فهناك القنطار العطاري أو البقالي (بنعبد الله عبد العزيز، 1983: 290)، وقنطار الزيت وقنطار الفلفل، ويبدو أنها تختلف عن القنطار بصفة عامة.

◀ الدرهم: الدرهم في العهد النبوي نوعان: البغلي سواد نقش فارس يزن 8 دوانق، والآخر الكبير دراهم بيض نقش رومي يزن 4 دوانق (مجهول، 2013: 220)، ويعتبر الوحدة الرائجة أكثر من المثقال، والمستعملة بالنسبة إلى المواد متوسطة الوزن، وكذلك الفضة وتتطابق مع عملة الفضة (روبار

برنشفيك، 1988: 260)، وقد انتشر استعماله بمختلف مناطق الغرب الإسلامي.

◀ المئقال وحدة صغيرة تساوي 4.72 غرام يختصه الصاغة كثيرا لوزن الذهب (266 : Goitein, D.1976)، ويعادل الثقال السوليدوس الروماني *Solidus* الذي اتخذه الأمويون وحدة لوزن الذهب في عهد عبد الملك بن مروان (Attalah Dhina, 171, 1984). ثم أستخدم المئقال كوحدة للوزن في الغرب الإسلامي، كانت العملة مستديرة في الدينار الفاطمي "يزد عن المئقال بحبة شعيرة" وأجزاء الدينار: ربع الدينار يعد ربع صغير؛ الدرهم ونصفه يسمى القيراط، وللقيراط أجزاء وهي الربع والثلث ونصف الثمن الذي يسمى الخرنوبة (المقدسي، 1906: 240).

◀ الأوقية: استخدم وزن الأوقية (*L'once Ukiyya*)، في المشرق الإسلامي في عهد الخليفة العباسي المنصور عند 31 - 48 غرام (Attalah Dhina, 171 : 1984). ثم استخدم المغاربة (البكري أبو عبيدة، 2013: 168) الأوقية في أوزانهم (الجوزي أبو علي، د: 108)، ويبدو أنها كانت تختلف في مقدارها من مكان لآخر، وكان كل رطل ست عشرة أوقية، وفي الأوقية واحد وعشرون درهما (القلقشندي، 1922: 177/5)، والأوقية: وزن 07 سبعة مثاقيل أي ما يعادل 29.75غ (بشاري لطيفة، 2011: 192).

◀ الرطل: يُعتبر الرطل من وحدات الوزن الرئيسية في الغرب الإسلامي يتكون من اثني عشر 12 أوقية (الطبيي توفيق،

1984: 151)، والأوقية تكون من مائة وثمانية وعشرين 128 درهما من دراهم الكيل (ابن باق علي، 2012: 95)، ويختلف من منطقة إلى أخرى، وإن اتفقت التسمية، فنجد رطل القيروان، ورطل تونسي، ورطل تنس، ورطل تيهرت وغيرها، بل إن الأبطال تختلف بحسب المادة التي توزن بها، فيقال رطل فُلُلي، ورطل لحم وغيرهما. أما رطل تيهرت كان رطلا بغداديا.

إن تعدد الأدوات والوسائل المستعملة في البيع والشراء يفضي إلى خضوع تلك الأدوات والآليات إلى النطاقات الجغرافية والإعتبارات العرفية مما يعرقل عقد الصفقات خاصة لدى التجار الأجانب والوافدين إلى تلك المناطق.

8 - المغرب الأوسط من خلال دراسة لنموذج عن وثائق جنيزة القاهرة :

طبيعة الوثيقة: رسالة من تاجر يهودي بالمرية إلى آخر بتلمسان.

هي رسالة مكتوبة أرسلها التاجر اليهودي إسحاق بن بروخ المقيم بالمرية إلى اليهودي أبي سعيد خلفون بن نشيل بمدينة تلمسان بتاريخ: 29 شوال 523هـ / 10 أكتوبر 1138م (الطبيي توفيق، 1984: 74).

"...، قبل أربعة أيام تسلمت من تلمسان -مع أبي يعقوب بن المنة - 100 مثقال، ...، ثمنا للنحاس المصقول، ...، وكنت أبلغتكم بأنني تسلمت المائة مثقال المرسله منكم من فاس .

وقد طلبت مني أن أشتري بالمبلغ حريراً. والواقع أن سعر الحرير كان معقولاً لذلك اشتريت حريراً بخمسين مثقالاً، ولكن عندما حان موعد إقلاع المراكب واتضح لي أنكم سوف تقضون بقية الصيف في الأندلس، أمسكت عن الشراء وتركت المبلغ".

إلا أنه ما بين يوم الشراء واليوم فقد المثقال بعض قيمته واليوم البضائع أغلى ثمناً.

الأسعار للوزنة	مثقال
حرير خزاج مقشور	9.....
خزاج صنف أول	5، الألود6، اليوم4
الخشن جداً	3 - 2
حرير خز	9 - 9

أما بالنسبة للنقد الذي يدفع اليوم ثمناً للحرير فإنه لا يسمح بدفع أكثر من الثلث بالعملة المتداولة، والفرق بين المثقال (المتداول المرباطي وبين المثقال الحمودي هو ثمانين).

النحاس المصقول	8
النحاس المسبوك	7
شمع جيد من فاس	8 للمائة رطل (100)
الفلل	25 - 27 للمائة رطل (100)

وحسب طلبكم، سوف أشتري بثمان التوابل حرير خزاج صافياً، ...، وأود إعلامكم أن ثمن الميروباليان أغلى في السوق. بعث نصف رطل بنصف مثقال، ثم لاحظت أنكم حددتم النفس بمثقال

ونصف المثقال للرطل، فتركته ولم أبع سوى نصف الرطل المذكور، أما المذكور فثمنه اليوم مثقال واحد للرطلين (الطبيي توفيق، 1984: 152).

تكشف الوثيقة عمق الحضور اليهودي في بلاد المغرب الإسلامي والأندلس، وعن دور الجماعات اليهودية في النشاط التجاري والممارسات الاحتكارية لمواد النحاس، الحرير، التوابل. كما نبهت إلى دور الرابطة العرقية وصلات القرابة في تركية المعاملات التجارية بالمغرب الإسلامي (تواصل اليهود: إسحاق بن بروخ، أبي سعيد خلفون بن نشيل، مع أبي يعقوب بن المنة) والثقة المتبادلة بين الأشخاص.

تكشف الوثيقة حجم المبادلات و الرواج التجاري للسلع الفاسية والأندلسية في أسواق المغرب الأوسط سهولة التنقل بين التجار دليل على نظرة المجتمع المغربي للتجارة وكذا التسامح الديني والتعايش مع أهل الذمة.

تمدنا الوثيقة بمعطيات رقمية خاصة بأسعار مواد غذائية مثل: التوابل والفلفل، ومعطيات رقمية خاصة بأسعار المواد النسيجية مثل: الحرير، الميروبالان كما نتحقق من معطيات رقمية خاصة بأسعار المواد المعدنية كالنحاس:

الأسعار للوزنة	مثقال
خزاج صنف أول	5، الأجود6، اليوم4
الخشن جداً	3- 2
حرير خز	9- 9
النحاس المصقول	8

7	النحاس المسبوك
8 للمائة رطل (100)	شمع جيد من فاس
25- 27 للمائة رطل (100)	الفلل

نستشف من الجدول مدى تأثير النشاط التجاري والاقتصاد
عموما بتقلبات الأسعار في الأسواق نتيجة لعدة عوامل أهمها:

- ✓ رسو وإقلاع المراكب البحرية.
- ✓ عجالة وتأخر المراسلات الإخبارية بين التجار.
- ✓ اختلاف السكة وتحول قيمة النقد المتداول.
- ✓ اختلاف أسعار المواد حسب الجودة والنوعية (انظر النص:
الاستعلام، النص، التوجيه المتبادل).

ان المدقق في نص الوثيقة يتحقق من إعتبار المغرب الأوسط
وتلمسان بالخصوص سوق نافقة بالنسبة ليهود الأندلس كما نستشف
من المراسلة مدى تزايد نشاط الخط البحري بين المرية وهنين ووهران
(ساحل تلمسان) وازدهار العملة الذهبية في القرن السادس الهجري.
ومن جهة أخرى أكدت ذات الوثيقة على تطور النظم التجارية المتداولة
في فترة الدراسة على غرار الشراكة والاستثمار التجاري كنظام في
التعامل النقدي والتجاري في المغرب الأوسط ؛ دون أن نغفل القيم وتنوع
المكايل والموازين: الرطل، نصف الرطل، المثقال المرباطي، المثقال
الحمودي.

خاتمة:

تنزع هذه المحاولة إلى صياغة منهج بديل في دراسات الاجتماع السياسي والاقتصادي للبلدان الإسلامية في العصر الوسيط يستند إلى منظوراتها الداخلية. فهي تعبر عن مسعى "داخل تراثي" يغور في ميراثنا وتجربتنا الخاصة، ليستقي منها أدواتها ومفاهيمها ورؤاها وقوانينها ومعاييرها، بعيدا عن الأدوات والمفاهيم المستعارة من مواطن أخرى، وذلك من خلال الالتصاق بالمنطق الداخلي لتجربة المجتمعات الإسلامية والانطلاق منها لتحديد الأطر والسمات، أي الشروط المسبقة التي تشكلت في أحضانها تجربة الإنسان والجماعات في بلداننا.

تحتوي وثائق الجنيزة على مئات الأوراق بالخط العربي بعضها صادر عن يهود والبعض الآخر عن مسلمين وحتى صليبيين. إن أغلب العقود والمراسلات التي تخص اليهود عبارة عن معاملات تجارية توضع العلاقات الاقتصادية بين بلاد المغرب والمشرق، زيادة على ذلك أهمية الموقع الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي كهزة وصل تربط بين الأندلس وبلاد الشرق الأدنى في العصر الوسيط .

يعد الدينار الذهبي والدرهم الفضي أهم صادرات بلاد المغرب الإسلامي إلى مصر مثل أي سلعة يتداولها التجار حيث أشارت إحدى الوثائق إلى اسماعيل التاهرتي الذي كتب إلى يوسف ابن عوكل أن يبتاع له دراهم عادلية وقيروانية مما يدل على شراء التجار القيروانيين العملة القيروانية من القاهرة.

كان المغرب الإسلامي أهم مصدر للمعادن إلى بلاد المشرق وفي مقدمتها مادة النحاس باعتباره مادة أساس في الصناعة الإسلامية

فوجدنا في إحدى الخطابات قائمة ببالة من النحاس المنصهر والفيجار (تعبير مغربي)، وفي وثيقة أخرى دلت على إستيراد الرصاص، فقد ورد فبي خطابات أحد الوكلاء المدعو يعقوب بن يوسف الطرابلسي الذي رفع تقريراً إلى التاجر ابن عوكل عن وصول المراكب إلى الميناء الاسكندرية وعليها شحنة من الرصاص. كما دلت على استيراد المرجان من مرسى الخزر فنجد في مراسلات ابن عوكل أن هناك بالة من المرجان تخص اسماعيل بن أبي عقبة. أما عن زيت الزيتون المطلوب من المغرب فنلاحظ خطاب ابن عوكل يسأل فيه هارون ابن الغزال أن يتسلم 21 زير من زيت الزيتون المغربي.

تشمل الوثائق كذلك على مضامين خاصة بالحياة الاجتماعية مثل الخطابات الشخصية والرسمية وقوائم حسابات، وإيجارات، وأثمان سلع ومتاجر مختلفة، وسجلات قضائية، وإيصالات وعقود إيجار، وعقود بيع وشراء، وزواج وطلاق، وإبراء وفسخ، ورهن وقرض ومشاركة واستبدال، كما تتضمن بعض الوثائق تفاصيل عن الحكم الإسلامي، مثل جمع الضرائب، وشؤون الموظفين، والوسائل التي عمدت إليها السلطة في حكم الجماهير وفي تنظيم إدارتها. وكذلك تمدنا بمعلومات عن المحاكم الإسلامية وعن وظائف المحتسب والوالي، والشرطة، وبذلك ترمم الثلم الحاصلة في المصادر الإسلامية.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1 - ابن باق، علي بن محمد. (2012). زهرة الروض في تلخيص تقدير الفرض، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسنطينة: جامعة قسنطينة 2.

- 2 -بشاري، لطيفة. (2011). العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن السابع إلى القرن العاشر الهجريين (13-16)م. الجزائر : منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف .
- 3 -البكري، أبو عبيد. (2013). المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب .بيروت :دار الكتب العلمية.
- 4 -بلهوارى، فاطمة. (2004). النشاط الاقتصادي في بلاد المغرب الاسلامي خلال القرن الرابع الهجري 10م، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي الوسيط، كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية. وهران: قسم التاريخ وعلم الآثار.
- 5 -بنعبد الله، عبد العزيز. (1983) معلمة الفقه المالكي .بيروت :دار الغرب الإسلامي.
- 6 -الجوزري، بو منصور العزيزي. (د.ت). سيرة الأستاذ جوزر .دار الفكر العربي : القاهرة.
- 7 -روبار، برنشفيك. (1988). تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي، ترجمة:حمادي الساحلي .بيروت :دار الغرب الإسلامي.
- 8 -الطبيي، أمين توفيق. (1984). دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس. ليبيا :الدار العربية للكتاب.
- 9 -عطا، زبيدة. (2008). اليهود و تجارتهم في مصر الإسلامية .القاهرة :الدار الثقافية للنشر.
- 10 -القلفشندي. (1915). الصبح الأعشى في صناعة الإنشئ، ج: 5. القاهرة :الطبعة الأميرية.
- 11 -المقدسي، (1906م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم .مدينة ليدن :مطبعة بريل .
- 12 -المنصوري، عثمان. (1988م). التجارة والتجار بالمغرب في القرن السادس عشر، بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا في التاريخ ، الدار البيضاء -المملكة المغربية :جامعة الحسن الثاني،كلية الآداب والعلوم الانسانية.
- 13 -مؤلف مجهول. (1979). الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية. الدار البيضاء : دار الرشاد الحديثة .

- 14 - مؤلف مجهول. (2013) وثائق ونصوص من ذخائر التراث المغاربي: المخطوط في علم المكايل والمقاييس والأوزان الإسلامية. الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر.
- 15 - الوقاد، محاسن. (1999). اليهود في مصر المملوكية في ضوء وثائق الجنيزة . القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 16- Ashtor, E. (1961). *history of the jews in Muslim Spain*. spain: Speculum .
- 17- DHINA, A. (1984). *Le royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er et d'Abou-Tachfin 1er*. Alger: E.N.A.L.
- 18- EDWARDS, J. (2008). *Institutions Social Capital: the Maghribi Traders Reappraised*. unitesdes states: EMPIRICAL AND THEORETICAL METHODS,MARCH.
- 19- Goitein, D. (1972). *LETTERS OF MEDIEVAL JEWISH TRADERS, TRANSLATED FROM THE ARABIC WITH INTRODUCTIONS AND NOTES*. New Jersey/ United States of America: PRINCETON UNIVERSITY PRESS, Princeton.
- 20- Goitein, S. D. (1979). *A Mediterranean society. The Jewish communities of the Arab world as portrayed in the documents of the Cairo Geniza*. Los Angeles ; London: University of California Press.
- 21- Krueger, H. C. (1933). *Genoese Trade with North-West Africa in the xiith Century*. beguim: *Revue belge de Philologie et d'Histoire* .
- 22- Goitein, D. (2009). *Medieval Tunisia The Hub Of The Mediterranean, Studies in Islamic History and Institutions*. netherland: Brill Classics .
- 23- Goitein, D. (1974). *mediteeraen trade in the elveventh centry in studiers in the economic history of the middle east*. london: edited by M. A.cook.

